﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [غافر: 13]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الانتقالُ مِن ذِكر حقيقة المآل إلى واقع الحال للمسارعة في التَّوبة

لَمّا ذكرَتِ الآياتُ السّابقة حالَ أهلِ النّار يومَ القيامة، بقصدِ التَّهديد الشَّديد في حقِّ المشركينَ، وأنَّ الآخرةَ هي دارُ جزاءٍ لا دارُ تكليفٍ، ودار الجزاءِ إنَّما تقومُ على الجزاءِ العادل، لا على الإمهال، فزمنُ الإمهالِ انتهى بالموت، فناسبَ حينئذٍ تذكير المُخاطَبين بما يدلُّ على كمالِ قدرتِهِ وحكمتِهِ ورحمتِه، وأنَّهم في الدّار الَّتي يحسُن فيها العمل، قبل الدُّخول في دارٍ يُنادي فيها المشركون: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾، فهو انتقالٌ مِن ذِكر حقيقة المآلِ، إلى ذِكر واقع الحال، للمسارعة في التَّوبة والإنابة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿رِزْقًا﴾: أصلُ (رزق) يدُلُّ على عَطاءٍ لِوَقتٍ، ثُمَّ يُحمَلُ عليهِ غَيرُ المَوقوتِ، فالرِّزْقُ: عطاءُ اللّه جلَّ ثناؤُه[1]، وهو كلُّ ما يُنتَفعُ به مِن مالٍ ونحوه، والجَمْعُ: أرزاقٌ[2]، والرَّزْقُ بِفَتْحِ الرّاء: العطاءُ الدّائم، والرّازِقُ: المُعْطي، وهو اللّهُ تعالى[3]، والمقصودُ بالرِّزق في الآية: اسمٌ لِما يَنتَفعُ به الإنسانُ في حاجاته، سَواءٌ كانَ حالًا بما ينبت بالمطر، أم مآلًا بالأعيانِ والأثمانِ[4].

2) ﴿يُنِيبُ﴾: أصلُ (نوب) يدُلُّ على اعتيادِ مكانٍ ورُجوعٍ إليه[5]،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رزق).
(2) ابن دريد، جمهرة اللغة، والجوهري، الصحاح: (رزق).
(3) ابن دريد، جمهرة اللغة: (رزق).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 331.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نوب).

ناب نَوْبًا ونَوْبة، وسُمّي النَّحل نَوْبًا لرجوعها إلى مقارِّها، والإنابةُ إلى الله تعالى: الرُّجوع إليه بالتَّوبة وإخلاص العمل[1]، والمُنيبُ مَن أنابَ؛ إذا رَجَعَ[2]، والمقصود بالإنابةِ في الآية: التَّوبةُ إلى الله، والرُّجوع إليه.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

آياتُ الله المبثوثةُ أسبابُ الإنابةِ والأوبة

تُبيِّنُ الآية الكريمة ما يدُلُّ على وحدانيَّته تعالى وكمالِ قُدرته وكبريائه، فهو الَّذي يُظهر قدرته لخلقه، بما يشاهدونه في العالم العلويِّ والسُّفليِّ من الآيات العظام الدّالَّة على كمال خالقها وقدرة مبدعها وتفرُّده بالألوهيَّة، ثم خصَّص من هذه الآياتِ ما هم في أشدِّ الحاجة إليه، وهو المطر، فقال: ويُنَزِّلُ لأجْلِكم - أيُّها النّاسُ - رِزقًا مِنَ السَّماءِ، وما يَتذكَّرُ بالآياتِ، فيَعتَبِرُ، ويَتَّعِظُ حينَ يُذكَّرُ بها إلّا مَن يُنيبُ إلى اللهِ سبحانه بالرُّجوعِ عن الكُفرِ والشِّركِ والمعاصي، إلى الإيمانِ والتَّوحيدِ والطّاعةِ، والإقبالِ على مَحبَّتِه وخَشيتِه، والتَّضَرُّعِ إليه[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الاستئنافِ ودلالته:

الحثُّ على النَّظرِ في الآياتِ الكونيَّة للإيمانِ بالآيات القرآنيَّة

جاءتِ الآيةُ على طريق الفصل؛ لتكونَ استئنافًا يرادُ منهُ خطاب النّاس جميعًا[4]؛ لبيانِ أنَّ الحكمَ لله العليِّ الكبير ممّا يُشاهده النّاس؛ تذكيرًا لهم وتنبيهًا بغرضِ الحثِّ على النَّظر في آياته ودلائله الدالَّة على توحيده وتذكُّر نعمِه الَّتي لا غنى لهم عنها؛ بيانًا للدَّليل على وحدانيَّته تعالى، وهو المناسب للمقام؛ لأنَّه جاء

(1) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (نوب).
(2) ابن عباد، المحيط في اللغة: (نوب).
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 134، والمراغي، تفسير القرآن: 24/ 52، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 734.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 362.

بعد توبيخ الكافرين على كفرِهم باللّه وإيمانِهم بالشَّريك، ويحتمل أن يكون الخطابُ خاصًّا لرسولِ اللّه ﷺ والمؤمنين، بعدَ أنِ انقضى وصفُ ما يلاقي المشركون من العذاب يوم القيامة[1].

بديعُ فنِّ الإدماج:

عطفُ الخاصِّ على العامِّ بغرضِ الامتنان

لمّا قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾، والرِّزقُ آيةٌ من آياتِ اللّه تعالى الَّتي ينتفع منها العبادُ، فيدخل في مفهوم الآيات الَّتي يراها النّاس، فهو مِن عطف الخاصِّ على العامِّ، وغرضُ العطف إدماجُ الامتنان على العبادِ بأوضح ما يرون آثارَهُ، ويلمسونه في حياتهم المباشرة، ولذلك ذكَّر بالإنابة الَّتي تنفع المتذكِّرين.

بلاغةُ القصر ودلالته:

في القصرِ دلائل التَّوحيد وبراهين التَّمجيد

لمّا جاء المسند والمسند إليه معرفتين في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾؛ أفاد الإسنادُ القصرَ، وهو قصرٌ حقيقيٌّ، ولمّا كان المسندُ اسمًا موصولًا؛ كان مناط القصر صلةَ الموصول بمعنى هو وحدَهُ الَّذي يريكم آياتِه، وينزِّل لكم مِنَ السَّماء رزقًا، أي: لا غيره، ففي القصر تضمينٌ لتوحيد اللّه تعالى، وتقريرٌ له على الوجه الحقيق به، ونزع هذا الحق عن غيرِه؛ لما عُلِمَ مِن استحقاقه ذلك بما أرى عبادَهُ مِن الآيات الكونيَّة، والدلائل الرَّبّانيَّة.

علَّةُ استعمال الاسم الموصول:

القادرُ على إراءةِ الآيات المُشاهدة هو الحقيق بالإذعان لآياته المسموعة

جاء استعمالُ الاسم الموصول في قولِه تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾، لما فيه مِن معنى التَّعليل والاختصاص، فلمّا كانت صلة الموصول جملةً معلومةَ الانتساب إلى مشارٍ إليه عند المخاطَبين؛ أفاد أنَّ المخاطَبين على علمٍ بمضمون الصِّلة، بمعنى أنَّهم على علمٍ بأنَّ الآياتِ الظّاهرة في السَّماء

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 102.

والأرض وما بينهما هي آياتُ الله تعالى، وأنَّه تعالى هو الذي ينزِّل الرِّزق من السَّماء، فكان ذِكر الصِّلة لزيادة تقريرِ الغرض الَّذي سيق له الكلام، وهو توحيدُ الله تعالى والإخلاص له في العبادة، كما أنَّ في ذِكرِ الصِّلة تعظيمًا لشأنِ المخبَر عنه، فمَن هذا شأنُهُ ينبغي أن يُعبَدَ، ويوحَّدَ، ويُخلَصَ له في العبادة.

دلالةُ التَّعبير بالفعل المضارع:

جاء التَّعبيرُ بصيغة الفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿يُرِيكُمْ﴾ و(يُنَزِّلُ)؛ لإفادة تجدُّد إراءَته تعالى للنّاس آياتِه العظيمة الدالَّة عليه سبحانه، وتجدُّد إنزالِه الرِّزق من السَّماء وقتًا فوقتًا وحالًا فحالًا؛ ليفيدَ التَّعبير بصيغة المضارع الاستمرار وعدم الانقطاع، المقتضي استمرار الإنعام وتجدُّده[1]، ففيه إيذانٌ بأنَّه لا إيقافَ لهذه الآيات، ولا منع لهذه النِّعم عن أحدٍ من النّاس، مع الإشارة إلى أنَّ رؤيةَ الآيات متجدِّدة في حياةِ النّاس، كما يشهدُ لهذا الواقعِ العلميِّ المعاصر.

نِعَمُ اللهِ تعالى متجدِّدةٌ لا تُمنع بكفرٍ ولا تُمدُّ بإيمان

نكتةُ استعمال مفردة ﴿يُرِيكُمْ﴾:

نوعُ الإراءة في فعل ﴿يُرِيكُمْ﴾ هي البصريَّةُ، ويفيد التَّعبيرُ بـ﴿يُرِيكُمْ﴾ أنَّه خلقَ في النّاس ما يُعينهم على رؤية الآيات؛ لتكونَ وسيلةً للتَّفكُّر والاهتداء، ففي إراءَته تعالى الآيات تفضُّلٌ منه وإحسانٌ، وفي تعدية الفعل ﴿يُرِيكُمْ﴾ بالهمزةِ - إذ أصلُهُ رأى، فلمّا اقترنت به همزةُ التَّعدية؛ صار يُري - إشارةٌ إلى أنْ ليس للإنسان أنْ يرى ببصيرتِهِ حقائق الأشياء إلّا بإراءة الحقِّ تعالى إيّاه[2]، ولو حجبَ ﷻ القدرة على الرُّؤية من أبصار العبادِ؛ لما استطاعوا بلوغَ شيءٍ ممّا ينتفعون به إثرَ هذه الإراءةِ، وهو ما يعرفُهُ الإنسان المعاصر، فإنَّ ما وصل إليه العصر الحديث، إنَّما هو بفضلِ الله

الإراءةُ منَّةٌ إلهيَّة يُراد منها الاهتداءُ إلى الحقائق لا الغفلة عنها

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 270.
(2) حقّي، روح البيان: 8/ 163.

تعالى وإحسانِه، فكلُّ ما بلغَهُ الإنسان من تقدُّمٍ هو نتيجةُ الإراءة الإلهيَّة، لكنَّ قليلًا من النّاس مَنِ اعتبر؛ فاهتدى إلى المطلوب، وهو الإيمان، وغالبهم فرح بظاهر الحياة الدُّنيا، وغفل عن المقصود.

فائدةُ الإضافة ودلالتها:

المقصودُ بالآيات كلُّ ما يصحُّ أن يوصفَ بأنَّه آيةٌ دالَّةٌ على العليِّ الكبير

أُضيف لفظُ الآيات إلى الضَّمير العائد إلى الله تعالى، فهي آياتُ الله العليِّ الكبير، ففي الإضافة إيماءٌ إلى رفعةِ هذه الآيات وعِظَمِها وكونِها آياتٍ عجيبةً، ويؤيِّده التَّعبير بالآيات الَّتي تُفيد أنَّها علاماتٌ باهرة ظاهرةٌ، ولمّا كانت الإضافةُ على معنى الاختصاص؛ أفاد لفظ ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ عمومَ آياتِ الله تعالى، فشملت آيات قدرتِهِ كالسَّماوات والأرض والشَّمس والقمر والجبال والسَّحاب والرَّعد والبرق ونحوها وآيات قرآنِهِ المجيد والمعجزات الظّاهرة على أيدي رسلِهِ وبقايا ديارِ القوم الَّذين هلكوا وسائر ما يجب أن يُعلَم[1]، وذهب بعضُ المفسِّرين إلى أنَّ المرادَ بالآيات الآياتُ التَّكوينيَّة الَّتي جعلها الله سبحانه في سماواتِه وأرضِه وما بينهما وما فيهما مِنَ الشَّمسِ والقمر والنُّجوم والرّياح والسَّحاب والبحار والأنهار[2]، فهي أظهرُ الآياتِ وأعمُّها لجميع النّاس، وأيَّده العطف في قولِه تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾؛ ليكونَ العطفُ من قبيل عطف ما يظهر بالعيان على ما يصيب الأبدانَ.

مناسبةُ العطفِ بين الجملتَين:

بإظهارِ الآيات إقامةُ الأديان، وبإنزال الأرزاق إقامةُ الأبدان

عُطِفَ قولُهُ تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ بالواو على طريق الوصل، لاشتراكِ المعطوف والمعطوف عليه في كون الجملتَين خبريَّتين وفي الجامع الخياليِّ، وبيانُهُ أنَّه تعالى ذَكَرَ في المعطوف عليه ﴿يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ ما يتعلَّق بمصالح أديان العباد بإظهار

(1) ابن عطيَّة، المحرر الوجيز: 4/ 550، والقرطبي، الجامع في أحكام القرآن: 15/ 299، وأبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 243.

(2) النّسفي، مدارك التنزيل: 3/ 203، والشّوكاني، فتح القدير: 4/ 555.

البيّنات والآيات وعطف عليه ما يتعلَّق بمصالح أبدانِهم بإنزال الرِّزق من السَّماء، "فَمَوقِعُ الآياتِ مِنَ الأديانِ كَمَوقِعِ الأرزاقِ مِنَ الأبدانِ، فالآياتُ لِحَياةِ الأديانِ، والأرزاقُ لِحَياةِ الأبدانِ، وعِندَ حُصولِهِما يَحصُلُ الإنعامُ عَلى أقوَى الاعتِباراتِ وأكمَلِ الجِهاتِ"[1]، فجمعَ بين إظهارِ الآيات وإنزال الأرزاق؛ لأنَّ بإظهارِ الآيات إقامةَ الأديانِ ومراعاة المعاد، وبإنزال الأرزاق إقامة الأبدان ومراعاة المعاش الَّذي به يكونُ العونُ على أمر الدّين.

نكتةُ عطفِ الخاصِّ على العام:

قد يُقال: ما سببُ إفرادِ المعطوف في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ﴾، على المعطوف عليه ﴿يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ مع كونِه من آياتِ اللّهِ الدّالَّة على قدرتِه ووحدانيَّتِه؟ والجوابُ هو أنَّه لمّا كان تنزيلُ اللّه تعالى المطر من السَّماء، فينتفع منه النّاس ممّا هو ظاهرٌ في تفرُّد اللّه تعالى به؛ كان ذِكرُهُ لأجلِ ظهور تفرُّده تعالى بعنوانِ كونِ الرِّزق مِن آثارِ رحمتِه وجلائلِ نعمتِه الموجبةِ لشُكرِه والإنابة إليه[2].

الـــرِّزقُ أقـــربُ الآيـات في إقناع العقلِ البشريِّ

نوعُ اللّام ودلالتُها:

اللّام في ﴿لَكُم﴾ للاختصاص المفيد معنى النَّفع، وتُسمّى هذه اللّام لامَ النَّفع، أي: لأجل أن تنتفعوا به، وهذا هو موضعُ الامتنان.

غرضُ تقديم ﴿لَكُم﴾ على المفعول:

قُدِّمَ الجارُّ والمجرور ﴿لَكُم﴾ على المفعولِ به في قولِه تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ﴾، فلم يقل: (وينزل رزقًا من السَّماء لكم)؛ للتَّخصيص الإضافيِّ، بمعنى: أنَّ إنزالَ المطر من السَّماء، وإن كان ينتفعُ منه النَّبات والحيوان، لكنَّه إنَّما أُنزِلَ مِن أجلِكم، وما ينتفع به الحيوان والنَّبات، فمآلُهُ عليكم، ففيه استعطافٌ للمخاطَبين

تـــخـــصـــيـــصُ المـــخـــاطَـــبـــين بموضع الامتنان

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 497.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 270.

وتعظيمُ الامتنان عليهم، ولو أخَّر ﴿لَكُم﴾ عن المفعول به ﴿رِزْقًا﴾؛ لصار صفةً له، فلا تقوى دلالةُ الاختصاص - كما في التَّقديم - بل يفيد أنَّ الرِّزقَ صالحٌ لانتفاع المخاطَبين منه، وبين المعنيَين فرقٌ كبير[1].

فائدة ﴿مِّنَ﴾:

﴿مِّنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ابتدائيَّة، والمعنى: ابتدأ إنزال الرِّزق من السَّماء، ففيه تنبيهٌ إلى عظم هذه الآيةِ، وإيماءٌ إلى عموم الفضلِ والمنَّة.

معنى تعريف لفظ ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾:

(أل) في لفظ: ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ عهديَّةٌ، فهي السَّماء المعهودة في الأذهان، ليفيد التَّعبيرُ إراءَةَ الله تعالى المخاطَبين لهذه الآيةِ الظّاهرة العجيبة.

نكتةُ التَّقديم والتَّأخير بين أشباه الجمل على المفعول:

قُدِّم ﴿لَكُم﴾ على ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، فلم يقل: (وينزِّل من السَّماء لكم رزقًا)، ونكتةُ ذلك الاهتمام بالمنزَّل لهم، فالأهمُّ في كونه نازلًا لهم لا في كونه نازلًا من السَّماء.

نكتةُ تنكير ﴿رِزْقًا﴾:

نُكِّر لفظُ ﴿رِزْقًا﴾؛ لبيان أنَّ المقصودَ هو عمومُ الرِّزق الَّذي يكون من ماء السَّماء؛ لأنَّ النَّكرة في سياق الامتنان تفيد العموم.

بلاغةُ المجازِ المرسل:

قولُهُ تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ مِن أمثلة المجاز المرسل المشهورة، فالرِّزق لا ينزل من السَّماء، وإنَّما ينزل الماء الَّذي ينبت به الزَّرع، فيأكل منه النّاس، وينتفعون منه، فيكون قد عبَّر عن المطر بالرِّزق، على طريق المجازِ المرسل بذكر المسبَّب وإرادة

ذِكرُ الرِّزق دون الماءِ للتَّنبيه إلى عظيم نِعَمِ الله ورفعتِها

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 104.

السَّبب[1]، ونكتةُ ذِكر المسبَّب التَّنبيهُ إلى عموم الرِّزق الَّذي يكون مِن ماء السَّماء، وإلى أنَّ ما يعتاش به النّاس ممّا هو قوام أبدانِهم هو مِن نِعَمِ اللّه تعالى العليِّ الكبير عليهم، ويحتمل أن يكونَ الكلامُ على المجاز بالحذف، والتَّقديرُ: وينزِّل لكم من السَّماء أسباب الرِّزق، والوجه الأوَّلُ أولى وأظهر.

نوعُ الواو ودلالتها:

مـدحُ المُنيبين والتَّعجيب من حال الغافلين

الواوُ في قولهِ تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ تحتمل أن تكونَ عاطفةً؛ لتكونَ الجملةُ تذييليَّةً، وتحتمل أن تكونَ حاليَّةً، بمعنى هو وحده تعالى الَّذي يُريكم آياتِهِ، وينزِّل لكم من السَّماء ماءً، فيكون سببًا في الرِّزق، والحالُ أنَّه لا يتذكَّر إلّا مَن يُنيب، ففي الحالِ تنويهٌ بالمنيبين، وتعجيبٌ ممَّن لا يتذكَّر هذه الآياتِ الباهرة، ولا يتَّعظ بها، وعلى الوجهين فيه اعتناءٌ بالمنيبين وإنكار على المعاندين.

نكتةُ التَّصريح بالتَّذكير بعد التَّلميح:

التَّذكُّر النّافع هو الـذي يُقيـم في القلب الإيمان ويمحو الكفران

لمّا تقدَّم أنَّ في صلةِ الموصول تلميحًا إلى أنَّ ذِكْرَ آياتِ اللّه وإنزال الرِّزق من السَّماء لأجلِ التَّذكير؛ كان التَّصريحُ بالتَّذكيرِ في قولهِ تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ على معنى التَّذكُّر التّامِّ[2] النّافع الَّذي يقتضي الإنابةَ إلى اللّه تعالى، الَّذي يُري آياتِهِ العظيمة العجيبة، وينزِّل من السَّماء رزقًا.

نوعُ القصرِ وبلاغتُهُ:

المتذكِّر يُنيب إلى مولاهُ عند وقوع مزالق السَّهو

جاء قولُه تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ على طريق القصرِ، ونوعُ القصر إفرادٌ؛ ليُفيد أنَّ التَّذكُّر مقصورٌ على من يُنيب، لا يتجاوزه إلى غيرِه، لِما بين التَّذكُّر والإنابة من التَّلازم في الواقع والعادة، ففيه دلالةٌ على أنَّ التَّذكيرَ بالآيات الظّاهرة الَّتي يُريها

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 156، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 53.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 21.

اللّهُ تعالى للمخاطَبين، وبتنزيل المطرِ مِن السَّماء، فيكونُ سببًا في الرِّزق لا ينتفع منهما إلّا من ينيب، ويتَّعظ، وليفيد أنَّ المرادَ بالتَّذكُّر هو التَّذكُّر الَّذي يُعتدُّ به، وينفع صاحبَه، فمَن تذكَّر، ولم ينفعْهُ تذكُّره؛ كان تذكُّره غيرَ نافعٍ، فكأنَّه لم يكن[1]، وجاء القصرُ بطريق النَّفي وأداة الاستثناء؛ فالتَّنبيهُ إلى أنَّه أقامَ مَن لم يتذكَّر بمثل هذه الآياتِ، ولم ينتفع منها، مقامَ المنكِرِ للآيات الظّاهرة الباهرة، ففيه إشارةٌ إلى أنَّ سببَ إنكارِهِ انهماكُهُ في الغفلةِ، فالمتذكِّر لا يغفل.

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعل المضارع:

جاء التَّعبيرُ بصيغة المضارع في قوله: ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ و﴿يُنِيبُ﴾؛ للإشارة إلى تجدُّد التَّذكُّر واستمرارِه، وأنَّ الإنابةَ المطلوبةَ هي الإنابة المتجدِّدة المتكرِّرة[2].

نكتةُ حذف مفعول التَّذكُّر:

حُذِفَ متعلَّق فعل ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ لإفادة العموم، بمعنى يتذكَّر جميعَ أنواع الآيات وأنواع الرِّزق، فأيُّ آيةٍ من آياتِ اللّه تكفي المُنيب في التَّذكُّر، كما أنَّ أيَّ نوعٍ من الرِّزق يكفي لتذكُّر نِعَم اللّه المسبَّبة عن المطر، ويحتمل أن يكونَ حذفُ المفعول لإقامة الفعل المتعدّي مقامَ اللّازم، بمعنى: أنَّ المُنيبَ هو الَّذي يكون تذكُّره للآيات وصفًا لازمًا له.

كـلُّ آيـةٍ تقوم مـقـامَ كـتـابٍ يقرَؤُهُ المُنيب إلى الله تعالى

نوعُ الاستثناء ودلالته:

الاستثناءُ في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ مفرَّغٌ مِن أعمِّ الأحوال، بمعنى: وما يتذكَّر في أيِّ حالٍ مِنَ الأحوال زمانًا ومكانًا إلّا مَن يُنيب.

(1) ابن عطيَّة، المحرر الوجيز: 4/ 550.

(2) ابن عاشور، التحرير والتّنوير: 24/ 24/ 103.

نكتةُ استعمالِ الاسم الموصول:

العـاقـلُ هو مُختصٌّ بالإنابةِ موفَّقٌ للتَّوبة

آثرَ النَّظمُ الكريم استعمالَ الاسم الموصول ﴿مَن﴾ الَّذي يُستعمل للعاقل؛ لإفادة العموم، فإنَّ العاقلَ مهما كان علمُهُ ومعرفته وعمرهُ ومكانه وزمانه؛ فإنَّهُ هو الَّذي يُنيب إلى الله تعالى، ومَن لا يُنيب كان كمن لا عقلَ له؛ لعدم انتفاعِهِ به، وللإيماء إلى وجه بناء الخبر ولبيان سببه، بمعنى: أنَّ الإنابةَ المتجدِّدة المتكرِّرة هي سبب التَّذكُّر.

بلاغةُ استعمالِ مفردة الإنابة:

الإنـابـةُ خـاصَّـةٌ بالعباد المؤمنين عند عودتهم إلى ربِّ العالمين

جاء استعمالُ مفردة الإنابة في قولِه تعالى: ﴿مَن يُنِيبُ﴾ دون أن يُقالَ: (وما يتذكَّر إلّا مَن يتوب)؛ لأنَّ المقامَ مقامُ تذكُّر للآيات والنَّظر فيها، ومراجعتِها مرَّةً بعدَ مرَّةٍ، وهي خاصَّةٌ بالمؤمنين؛ فناسب ذِكرُ الإنابة المفيد الرُّجوع إلى الله تعالى مرَّةً بعدَ مرَّةٍ بالإقبال إليه قاصدًا له مهما بعُد عنه بسبب المعاصي والذُّنوب؛ ليفيد ذكر الإنابة وقوع التَّوبة، فالمنيبُ تائبٌ لله تعالى، ولكلِّ كلمةٍ في القرآن مع صاحبتِها مقامٌ يناسبها نظمًا ومعنًى.

نكتةُ حذفِ متعلِّق فعل ﴿يُنِيبُ﴾:

إذا عُلِمَ المعنى؛ نُزِّل عند حذفِهِ كذكرِه

حُذِفَ متعلِّق فعل: ﴿يُنِيبُ﴾؛ لظهور المعنى بقرينة المقام، وكأنَّ الإنابةَ لا تكون إلّا إلى الله تعالى، والمعنى: وما يتذكَّر إلّا مَن ينيب إلى الله بطاعتِه وبقَبول أمرِه، كما أنَّ في حذف متعلِّق الفعل مِن الجار والمجرور رعايةً للفاصلة ومناسبةً لرؤوس الآي.

بلاغة فنِّ التَّعريض:

كلُّ مدحٍ يُقابله قـدحٌ للمخالفِ المعارِض

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ تعريضٌ بالمعاندين من الكافرين، وبمن تمرَّد، وعصى، وأشرك بالله تعالى وعتا عن أمرِه، بأنَّهم ليسوا منيبين إليه، أي: إنَّ المعاندَ لا سبيل إلى تذكُّره

واتِّعاظه[1]، ففيها تثبيتٌ للمؤمنين على البقاءِ والاستمرار، وتبكيتٌ للمعاندين على ما هم عليه.

بلاغةُ التَّذييل:

توكيدُ مضامين الكلامِ تقويةٌ للمقاصدِ وربطٌ للدَّلالات

في قولِه تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ تذييلٌ[2]، فجملة القصر تذييليَّة، لتأكيد مضمون ما قبلها من الحثِّ على التَّذكُّر بما ألمح إليه إراءَة الآيات وتنزيل الرِّزق من الأمرِ بتذكُّرها والاتِّعاظ بها، كما أنَّه لمّا كانت الجملةُ على معنى العموم بمجيء الاستثناء مفرَّغًا، والتَّعبير بالاسم الموصول ﴿مَن﴾ المفيد العموم، فلمّا كانت الجملةُ كذلك؛ أفادت جملة التَّذييل معنى العمومِ والكلّيَّة؛ لتكونَ كالمثل في جريانِها والتَّمثُّل بها في الكلام.

❁ الفُروقُ المُعجَميَّةُ:

التَّوبة والأوبة والإنابة:

الإنابةُ إشعارٌ بتكرُّر الرُّجوع، والتوبة النَّدم على السابق، والأوبة الرُّجوع إلى المكان

التَّوبةُ: هي النَّدم على فعل ما سبق، والأوبُ: هو الرُّجوع إلى المكان الَّذي كان فيه، وكُلُّ شَيءٍ رجَعَ إلَى مَكانِه؛ فَقَد آبَ، ومنه في دعاء الرُّجوع من السَّفر: «آيِبونَ تائِبون عابِدون، لِرَبِّنا حامِدونَ»[3].

وأمّا الإنابةُ؛ فهي الرُّجوع إلى الشَّيء مرَّةً بعد مرَّةٍ بأن يكونَ مقبلًا إليه قاصدًا له، وإن كان بعيدًا عنه، والنّوبُ بالضمِّ: النَّحْل؛ لأنَّها تعود إلى خلاياها مهما بَعُدت في سروحها لارتشاف رحيق الأزهار[4].

(1) الزّمخشري، الكشاف: 4/ 156، والطيبي، حاشية على الكشّاف: 13/ 478.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 103.
(3) صحيح مسلم، رقم الحديث: (1342).
(4) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (توب، نوب).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 51 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-97-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 51 : المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-97-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4644027 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»